رد د. سامي عامري على سعود الزدجالي في مسألة إنكار حادثة الفيل

Sep 6
د. سامي عامري:
DrSamiAmeri@

1- طعنَ الزدجالي في خبر غزو أبرهة مكّة؛ بإهدار رواية الأخباريين كليّة، لما فيها من إشكالات تاريخيّة. وهذا منطق متطرف في التعامل مع الروايات التاريخية، ليس عليه أهل التحقيق؛ فإنّ الأخبار التاريخية، وإن تعارضت، أو تضمّنت دعاوى باطلة، لا تَسقط ضرورة بذلك؛

فعامة أخبار التاريخ القديم لا تخلو من تناقضات وأساطير، لامتزاج الأصيل بالخرافي فيها. ولو التزمنا هذا الطريق فسنهدم مناهج البحث التاريخي المعاصر، وسيتحوّل الإسكندر المقدوني -مثلًا- إلى شخصية أسطورية وهمية لكثرة التناقضات والأساطير في أخبارها.

ولذلك يهتم النقّاد عند النظر في هذه المرويات بما يُسمّى "نواة الحقيقة" " kernel of truth " الكامنة في قلب الروايات المتضاربة. وذاك سبب قبول عامة المستشرقين رواية غزو أبرهة لمكّة -كما سيأتي بيانه-؛ إذ إنّ روايات الأخباريين -على ما فيها من اضطراب وأباطيل- تقوم على أصل تاريخي صحيح

يفسّر ما وقع في مكّة والحجاز في السنوات القريبة من ميلاد الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

2- تجاهل الزدجالي رواية البخاري التي تشير إلى غزو أبرهة مكّة، رغم أنّ الزدجالي يميّز بين منهج الأخباريين ومنهج المحدّثين (المؤرّخين، بعبارته).

3- أسقط الزدجالي كتب السيرة النبويّة بتهمة الخضوع إلى الولاءات السياسيّة. وهي تهمة لا نكاد نجدها حتّى عند متطرّفي المستشرقين.

4- أثنى الزدجالي -بسخاء- على كتب نصر حامد أبو زيد -المتّهم قضائيًا بالكفر، وعلميًا بالتناقض والتكلّف والأدلجة-، وجولدتسيهر -أشد المستشرقين حقدًا على الإسلام- في توجيهه القارئ العربي لفهم التراث الإسلامي وقراءة النص القرآني!

5- عظمّ الزدجالي ما قاله المسَيَّح، وهو منصّر مغربي شعبوي، حاطب ليل، ينافح عن كل دعوى تريد هدم الإسلام، حتّى قال إنّ مكّة ليست في الحجاز، وإنّ "محمّد" ليس اسم نبي الإسلام وإنّما هو صفة للمسيح ابن مريم!

6- واستدلّ الزدجالي بالمسيّح للقول إن أبرهة قد توفي أوّل القرن السادس، رغم أنّه لا يوجد خبر تاريخي عن ذلك، كما نقل عنه أنّ تضاريس المنطقة لا تسمح بدخول الفيلة لها، رغم وجود أكثر من نقش في إثبات ذلك! والاستدلال بالمسيّح من متحدّث يدّعي "العلميّة" وينافح عن "الشك الديكارتي"، عجيب!

7- عظّم الزدجالي أمر الحفريات في البحث التاريخي، رغم أنّ حفريات البلاد العربيّة، ضعيفة جدًا، ولا يُمكن أن تُبنى عليها قراءة علميّة جادة لتاريخ المنطقة.

8- نادى الزدجالي "بالعدميّة التاريخية"، بقوله إنّ كلّ قراءة هي نتاج لبيئة وآلياتٍ إذا تغيّرت اختلفت معها القراءة. فالنصّ عنده من صناعة القارئ. وهو بذلك يُبشّر بشعار ما بعد الحداثة: "موت المؤلّف". ويدعو إلى "تسييل النصّ"، بما ينتهي إلى إعدامه.

9- أوهم الزدجالي السامعين أنّ علماء الإسلام يسلّمون بما جاء في المرويات التاريخية دون تمحيص. وهي دعوى معلومة الفساد. وأخبرنا أنّ الواقدي متّهم بالكذب، وكأنّه يخبر بسرٍّ مكتوم!

10- أنكر الزدجالي خبر غزو أبرهة مكّة لأنّه لم يرد في صحيح الشعر الجاهلي المحفوظ، وكأنّ البحث النقدي قد انتهى إلى حسم الأصيل من الدخيل في هذا الشعر (!!)، أو أنّ الثابت الأصيل من هذا الشعر -وهو قليل على مذهبه؛ إذ هو أبيات قلائل لكلّ شاعر- لا بدّ أن يكرّر خبر القصّة في كلّ قصيدة!

وأهمل أنّ العرب كانت تؤرّخ لأحداث المنطقة بقصّة غزوة أبرهة، وهو أمر أعظم من كلّ قصيدة، في البحث التاريخي.

11- زعم الزدجالي أن أبرهة آريوسيّ، وأنّ النقوش تشهد لذلك؛ ولذلك فتعظيم القرآن لهزيمة الآريوسي "الموحّد!" أمام الوثنيين لا يستقيم إسلاميًّا. وكلامه كذب على النقوش

وعلى التاريخ؛ فليس في النقوش أو غيرها شاهد لآريوسية أبرهة! وليست الآريوسية على التوحيد

12- وسورة الفيل ليست في تمجيد انتصار الوثنيين على النصارى، وإنّما هي في بيان هزيمة معتدٍ على كعبة إبراهيم عليه السلام التي ستنطلق منها قريبًا الرسالة الخاتمة.

13- استدلّ الزدجالي لإيمان أبرهة، بإيمان النجاشي؛ فهُمَا من أصول كنسيّة واحدة. وهذا تخليط؛ فإنّ روايات السيرة أنّ النجاشي كان على خلاف قومه في الموقف من طبيعة المسيح عليه السلام، وأنّه كان يكتم ذلك قبل إسلامه وبعده.

14- وخلاصة الكلام في دعاوى الزدجالي التي عرضها في حلقة يوتيوبية، هي أنّ الرجل متشنّج، فاقد للرصانة العلميّة في التعامل مع الخبر التاريخي، وينحو في اتّجاه الشكوكيّة المتطرّفة، ويعتمد -مع ذلك- على "دراسة" أحد المنصّرين الشعبويين.

انتهى هنا!
ولعلّ كثرة أوجه الردّ، منبئة عن عذري في تجاهل هؤلاء عادةً.. !